AWRAD
مركز العالم العربي للبحوث والتنمية
Arab World For Research & Development

من إصدارات صندوق أوراد للتنمية المجتمعية
تحليل خطاب حماس في كتاب جديد للدكتور وليد الشرفا

كتاب "دوائر الإقناع في خطاب حركة حماس"

- هل يتدافع الفلسطينيون أصوليا بأدوات حداثية؟
- النص - الصورة - الفاعل المطلق وسؤال التنوير؟
- ما يفعله الحق فهو حق!!

رام الله – 3-8-2010- معهد أوراد

صدر حديثاً عن معهد العالم العربي للبحوث والتنمية "أوراد"، كتاب جديد للدكتور وليد الشرفا يتناول بالتحليل دوائر الإقناع في خطاب حركة حماس، وفق ثلاثة مستويات تحليلية، هي: الميثاق والإعلام والتبرير، ويقع الكتاب في ثلاثة فصول. ويأتي هذا الإصدار بعد أن قام أوراد بإطلاق مبادرة "صندوق أوراد للتنمية المجتمعية" الهادفة لنشر وتعميم الكتب الفكرية والثقافية والأدبية التي تشكل بديلا وتحديا للفكر السائد والرائج في إطار تعزيز حقبة من النهضة والتنوير العقلي والعاطفي الإنساني.

ويحلل الباحث (الشرفا) في الفصل الأول ميثاق حركة حماس بصفته النص المؤسس لكافة فواعل الحركة ومجالاتها، وهو دائرة الإقناع الأولى التي توفر للحركة ذلك الاستبدال بينها وبين دوائر الإعلام، باعتبارها إحياء وتجسيداً له، تأتمر بأمره وتنتهي بنواهيه، وهو الدائرة المؤسسة وفق منطق متعالٍ، ويرى الباحث ان الميثاق توزع بذكاء بين المطلق والنسبي وبطريقة تمكن احدهما من الاستبدال مع الآخر.

في الفصل الثاني، يحلل الشرفا ما سماه الدائرة الثانية في الاقناع وهي: الإعلام الذي استطاع تقديم الحركة وفق سياسات تاريخية: سياسية وعسكرية وأخلاقية على انها تمثل لمطلق الحق وفق تقنيات لغوية ومونتاجية ذكية، تطرق الشرفا في هذا الفصل الى العلاقة الخطابية بين حركة حماس وقناة الجزيرة اعتماداً على تحليل تغطية القناة لعمليات المقاومة، وملفي: الاشتباكات الداخلية والاعتقالات المتبادلة في غزة والضفة، ويخلص الباحث الى ان تقنيات خطاب الجزيرة بنت نموذج "حماس" وفق كل سياق، اعتماداً على ثنائية الفاعل والموضوع في الاخراج الخطابي، وانسجاماً مع المقولة، الصفات التي تدلل على العقائد.

تطرق الفصل الاخير الى الدائرة الثالثة وهي التبرير، الذي اعاد ربط تحولات الحركة في الميادين والسياقات بالدائرة الاولى وهي الميثاق المطلق، باعتبار ان موقف الحركة هو تجسيد للحق وللاسلام، تطرق الشرفا في هذا الفصل الى تبرير الحركة لموقفها من الانتخابات والهدنة والاشتباكات الداخلية والاعتقالات الداخلية، وهي دائرة استفادت من اساليب نمذجة الحركة التي بدأت بتزكية الاصل والسياق وصولاً الى تنزيه الفرد الفاعل، اي اعادة لمحنة التأويل في التاريخ الاسلامي بصفته استئجاراً للسياق لإدماجه في المطلق، على طريقة انما الاعمال بالنيات او ان الفتوى تلزم صاحبها.

جاء في توضيح خطاب الكتاب الذي كتبه الدكتور الشرفا ان البحث رغم دراسته لخطاب "حماس" الا انه يعتبر ان

الازمة الفلسطينية شاملة وهي تراجع الاداء التاريخي لصالح التصور الزمني والاقناعي استجابة لمتطلبات السلطة وهي حالة خطرة يعيشها الفلسطينيون في الانتقال بين اساليب حداثية ذات نتائج غير حداثية، وهي مركزية التصور خارج واقع غير مركزي موجود على الفضائيات والصحف والمواقع الالكترونية.

أما مقدمة الكتاب فقد كتبها الدكتور نادر سعيد، مدير معهد أوراد تحت عنوان "تفكيك احادية الخطاب" وجاء فيها نهج هذا الكتاب وما يميزه، التفكيك للخطاب وإعادة البناء في التحليل، وهو بذلك يتحدى، ولو أكاديميا، نهج أحادية الخطاب السائد (ما يفعله الحق فهو حق) ويسعى لتمكيننا، نحن القراء، من إلقاء نظرة جديدة لعالم يبدو مألوفاً، طبيعياً او مطبعاً، (من التطبيع). هو نهج التفكيك الذي يتتبع بدقة معنى النص (المنزل والملزم) فيصل الى كنه التعارضات التي قامت على ما يبدو انه مسلم به، ويصل في التحليل الى النقطة التي يظهر ان النص قبلها مؤسس على حزمة من (الحقائق) غير قابلة للانقاص او النقض، فيتضح عند سبرها انها مجموعة معقدة وغير مستقرة من التراكمات، يجعل الوصول الى ما بعدها من شبه المستحيل. فتحليل النص او المضمون، الذي يقدمه هذا الكتاب، يسبر المبطن وما يتشربه (اللاوعي) لدى كل من يراقب المحطة الفضائية قيد الدراسة هنا - قناة الجزيرة الفضائية. وبهذا المعنى يصبح الخبر جزءاً من عملية تلقين وتنصيص منضد ترقى الى مصاف (التشريب Indoctrination) وبهذا المعنى يصبح التفكيك لأحادية الخطاب (المطبع والملقن)، ضرباً من ضروب تفكيك الاسطورة (Demystification) التي اصبحت مع الوقت مسلمات ميتافيزيقية غير قابلة للنقاش كالدين او اي دوغما اخروية او دنيوية.

إذا، يقدم هذا النص تفكيكاً لخطاب قناة الجزيرة الفضائية، التي اكتسبت وبوقت قصير نسبياً، دوراً حيوياً في تعريف الواقع، ووضعه في اطار يراه القائمون عليها مناسباً للعالم العربي والاسلامي. ومما لا شك فيه ان هذه القناة انتقلت من طور لغوي يقوم على الحياد، الى الانحياز ومن ثم الى التبني، وفي نفس الوقت، ذهبت لتغليب خطاب على حساب خطاب آخر، بل من اظهار خطاب الى تبنيه، ومن قدح خطاب الى تمزيقه اشلاء. وفي الوقت الذي تقوم فيه سلطة معنوية ومادية، كالجزيرة، باستخدام لغة اقرب الى اللاهوتية (لغة الحق الموحدة) في كل مناسبة وتحت اي غطاء، كما فعلت الكنيسة في القرون الوسطى والكهنة في معابد المايا، وبرغم ما يبدو من صحة وأحقية هذه المصطلحات (كالمقاومة والاسلمة والتعريب)، فترديدها بهذا الشكل -كماً ونوعاً- يعطيها صبغة (لاهوتية) يصعب معها (مقاومة المقاومة) او تكفير الاسلمة او تفنيد العروبة. وكالمقدس المحرم الوصول اليه، يصبح النقاش في دوافع وأداء حامل الرسالة (المقدسة) ضرباً من ضروب الهرطقة، يحرم ويجرم ومن هذا المنطلق، نعطي قيمة اكبر لهذا الكتاب، الذي يتجرأ على تفكيك (الحق الكامل والمطلق) والنص (المقدس)، ويقدمه ضمن منهج علمي وأكاديمي موثق ومثبت ضمن نسبية الحقيقة.

إن المنهج الذي يتبناه هذا الكتاب، يفتت بنية جلمود الصخر وينثر غباره في الهواء، فيصبح الخطاب ذو العديد من المعاني والمتناقض (المتوازن) وغير القابل للاختزال محدوداً في حبس أيدلوجيا أحادية الحق لا يتجاوز نقطة معينة ويصبح مكرراً الى درجة الانكشاف غير المقصود، وقابلاً للتفسير في اطار (الدنيوي) والمادي من المصالح المتعلقة بالسلطة الفكرية والمادية - الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لجماعات مصلحة على حساب جماعات أخرى، ومن هنا يصبح دور الاعلام ابعد عن إنتاج الاختلاف والتحفيز على التفكير النقدي والإرجاء للأحكام المتسرعة، وأقرب الى إنتاج الصراع والتثوير في سياق ليس له آخر واضح ومتناقض مع ذاته.

قراءة في كتاب الدكتور وليد الشرفا "دوائر الإقناع في خطاب حركة حماس"

النص - الصورة - الفاعل المطلق وسؤال التنوير؟

بقلم: جمال أبو الرب - الباحث المتخصص بالأصوليات

إن التأصيل لمفهوم الإسلام السياسي يأخذ منحيين، الأول في النص والثاني في التجربة التاريخية، وعند دراسة النص نجد أنه وإن كان نصاً إلهياً، فإنه لا ينطق وإنما يستنطق بما لدى البشر من قدرة على استنطاقه، والاستنطاق بالضرورة بشرى، ولا قداسة له، ولا ادعاء بها لأي استنطاق، فالاستنطاق لا يلزم أكثر من صاحبيه.
أما التأصيل في التجربة التاريخية، فهذا الادعاء محض مراوغة وخداع، فالتجربة التاريخية لا تنبئ إلا عن صراع دنيوي على السلطة التي زهقت في سبيلها أرواح المسلمين، عبر تجربة دموية قاسية، وهي تجربة منزوعة القداسة لسببين: الأول لأنها إنسانية وليست إلهية، والثانية لأنها استباحت دماء المسلمين.
لذلك لا يوجد تأصيل لحركات الإسلام السياسي لا في التجربة التاريخية، ولا في النص. وتتمثل خطورة هذه الحركات بأنها توهم في خطاباتها أن النص مرجعها، والتجربة التاريخية للسلف الصالح طريق لها، وبهذا الوهم والتضليل تأخذ هذه الحركات طريقها نحو الاستمالة والتجييش.
يقدم د. وليد الشرفا دراسة جادة معمقة وثرية في تحليل مضمون خطاب حركة حماس، مستكنها وكاشفاً لدوائر الإقناع في خطاب الحركة، والذي جسد كل هذه الدوائر الإقناعية عنوان المؤلف: "ما يفعله الحق فهو حق" حيث ينطلق خطاب الحق من التأسيس المفاهيمي للحق المتعالي في الميثاق، إلى الحق السياقي المتجسد في الحركة، واللحظة التاريخية الناشئة.
وقد بينت دراسة الشرفا كيف أن الحركة تبدأ بتأسيس نظامها التواصلي على أنها عقيدة حق بالمعنى الإلهي، وهو مستوى من الحجاج يستعير حجاجات الأنبياء ويتناص معها. وأن الحركة تتجاور مع الإسلام، فالإسلام منهجها، ومنه تستمد أفكارها وتصوراتها، وأن الأعضاء في الحركة هم في حالة عبادة لصناعة الجماعة للنموذج والفرد النموذج، وأن من يعارض الحركة أو يخاصمها وقع في حالة تعارض مع المطلق.
وقد بين الشرفا خطورة النظام التواصلي في خطاب الحركة - وهذا حال معظم الإسلام السياسي عموماً - حيث يقوم النظام التواصلي للحركة على عزل كل السياقات التاريخية والوجودية الثنائية للزمان والمكان لصالح تأويل لا يعترف بنفسه على أنه تأويل، حيث يجعل المسافة الفاصلة بينه وبين النص صفراً، فيتحول التأويل إلى قراءة نصية إلهية للواقع، أو قراءة الواقع تأويل له، ليأتي على قد النص. وفي كلا الحالتين يأتي النص كشاهد زور بعد أن جعله التوظيف لا يحيل إلى ذاته كنص متعال، وإنما يحيل إلى حركة متعالية في سياق قداسة النص.
وقد استفاد خطاب الحركة من الاستعارة والتناص وحجاج الأنبياء أو استعارة آيات من القرآن والشعر العمودي ومن ذلك "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي" و"قل هذا هو الحق المبين، فسبح اسم ربك العظيم"، فالرسل الحق المبين، هما سياق تجلي المطلق المتمثل بالحركة التي جسدت الإسلام - الحق - وجماعة الحق، وما يترتب على ذلك من متواليات.
وبهذا لم يعد حضور الاستعارة لغرض المشابهة، حيث تترك مساحة للتفريق بين الشيء المستعار والواقع الذي تمت الاستعارة لأجله، بل الحضور هنا يتمثل في إقامة محور استبدالي بين المطلق والسياق، ليغدو المقدس الديني بكل رمزيته وطاقاته متجسداً في سياق المدنس الأرضي، ليكتسب ذات القداسة، هنا الحركة توهم بخطابها أن المسافة الفاصلة بينها وبين الإسلام هي بالضبط مساوية للصفر، وهو الزمن الذي طالما حلم به رولان بارت للكتابة، وهي ذاتها مسألة الحلول، وكذلك قول النفري عن المسافة بينه وبين الله: "ليس بيني وبينه بين" ومعنى ذلك أن انتهاء المسافة بين الشيء والآخر، أن الشيء أصبح تماماً هو الآخر، فالحركة هنا تماماً هي المطلق بكل تجلياته.
لقد مثلت الحركة بميثاقها كما قدمها الشرفا - وما أخاله إلا مصيباً في قراءتها - لقد مثل الميثاق رحلة الحركة إلى الله، فعقيدة الحركة إلهية، وعقيدة الحق استوجبت الدعوة إليه، فكانت الحركة آلية الحق وغايته، هنا بالضبط يمد الله مرونته في الحركة، ويصبح كل ما يصدر عن الحركة بوصفها دعوة الحق وآليته مقدساً وواجباً وملزماً، وان ما

يفعله الحق لا يعدو كونه حقاً، وهذا تمهيد للهدف الايدولوجي المتمثل بالإقناع والاستمالة والتجييش لصالح الحركة، ولصالح تشريع سلطتها على الأرض باسم الله.
وتعمد الحركة عبر التشكيلات الخطابية التي تنتجها إلى تهميش لآليات التفكير عن المستهدفين، وبالمقابل فإن هذه التشكيلات تأخذ طريقها للذاكرة للتمكين والتخزين، فيغدو بذلك خطاب الحركة عبر دوائره الثلاث التي قام بدراستها الشرفا رحلة أزمنة متجاورة بشكل خطي وسهمي دون اعطاء أية فسحة لقراءة التاريخ أو الكيفية التي يقيم بها التأويل، فلا تأويل ولا تاريخ خارج تنصيص الحركة، وبالتالي يتجسد بها النص المتعالي، والتأويل والتاريخ والحدث اللحظي، ولا يمكن بناء على ذلك فهم حركة حماس عبر تجزئته للزمن والتجربة التاريخية. الحركة هنا تمثل زمناً كلياً للنص والتاريخ والواقع.
هذا العمل الذي أقدم له فيه حذر شديد من الكاتب حتى لا يكون متورطاً في أي سياق، فأخذ على عاتقه أمانة الباحث الجاد، وفق منهجية علمية رصينة جعلته يقف على مسافة علمية من الدراسة التي أجراها، سواء في استنطاق الميثاق أو في إماطة اللثام بشكل علمي وممنهج على تواطؤ "الجزيرة"، عبر العينة التي كانت موضع الدراسة والتحليل والتي كشفت عن تطور لا أخلاقي لـ "الجزيرة"، من خلال استخدامها لتقنيات صناعة الخبر التي حجبت ونكرت أفعال المقاومة حينما كان الأمر يتعلق بالفصائل الفلسطينية غير حركة حماس، وبالتالي لم تساهم في ابراز أي فاعل، بل قامت بتغييبه ونفيه. وفي المقابل أبرزت "الجزيرة" عبر كل تقنيات الحضور للفاعل حينما يكون حركة حماس لصناعة النموذج المقاوم.
هذا العمل كصاحبه جدير بالمصاحبة المعرفية، وإذ قلنا بأنه ربئ بنفسه عن التورط في أي سياق، فإنني هنا استدرك لأقول، هو متورط حتى النخاع بالهم الفلسطيني والجرح المفتوح الذي عبر عنه مظفر النواب: "شفتاي امتداد لجرح بهما كلما صاح صحت" ووليد منحاز "لضحايا القتل الأخوي الذين حولهم الخطاب والفساد من مأساة في تشوه العلاقة إلى مشكلة فقهية".